بين العلم والإيمان

أوليفر لدج

سيرته وأعماله على ذكر وفاته
الأساس العلمي لعقيدته الروحانية

— ١ —

نحن في يوم من أيام دسمبر سنة ١٩٠٤ والضباب في مدينة برمنغهام الانكليزية مايسدّ لا تكاد ترى يدك اذا مددتها . في صحن الجامعة وقف رجل مديد القامة ، وقور الطلعة ، يفحص أسلاكاً من صنف معيَّن . ثم سمعت لعلعة على مقربة من الرجل ، كانت أيذاناً بقفز شرارة كهربائية من قطب الى قطب . واذا بالضباب الكثيف تضُمُّ كتائبهُ . وليس هناك ريح تدفعهُ أمامها . واذا ببناي الجامعة تبدو في الضباب اللطيف كالأشباح تتجلى رويداً رويداً ، على لوحة فوتغرافية في حوض التحميض . تحوَّل الضباب الى غيم ، والغيم الى سحاب . واذا الجوُّ في صحن الجامعة صافٍ خالٍ من الشوائب ، يحيط به الضباب من كل جانب . ثم فُصل السلك الذي أحدث الشرر الكهربائي ، فبدأ الضباب يرتدّ الى الصحن كأنهُ جيش بعيد الكرة على معقل أخذ منهُ عنوةً . ولكنهُ يبغي ان يحتلَّهُ ثانيةً

بعيد ذلك بأيام أعيدت التجربة علناً في مدينة لفربول ، فتمكن السر اوليفر لدج ، مدير جامعة برمنغهام من أن يبدد بشرر الكهربائي الضباب الكثيف من بقعة طولها نحو ستين قدماً وعرضها نحو ستين قدماً وعلوّها نحو ستين قدماً

ما هي الضباب من أشدّ عداة الانسان في السفر برّاً وبحراً وجوّاً . فالضباب اذا تكاثف في مدينة منشستر وضواحيها ، شلَّت حركة المواصلات لان القطارات والترامويايات تعجز عن السير خوفاً من الاصطدام . واذا هي سارت زحفت زحفاً . والبواخر اذا اكتنفها الضباب خففت سرعة سيرها وفحصت بصفاراتها تنبيهاً للبواخر التي لا تستطيع رؤيتها مع قربها منها

وكم ذهبت طيارة وكم راح بلون ضحية الضباب الكثيف اصطداماً بجبل قريب لم يرَ ، او ببرج عالٍ او بناية شاهقة . لذلك عني العلماء بدرس هذه الظاهرة الجوية والبحث في الأسباب

الواقية لمكافحتها والتغلب عليها . والوسائل العلمية تجب في الذنب من المباحث النظرية. ففي سنة ١٨٧٠ أبان الاستاذ تندل العالم الانكليزي ان الجوّ الذي يحيط بقضيب حمي من الحديد يكون خالياً من الغبار . فظنّ اولاً ان حرارة القضيب تحرق دقائق الغبار في الهواء الملاصق له . وفيما كذلك ان تيارات الهواء الساخنة المنطلقة من جوار القضيب تطرد الغبار . ولكن لودج اثبت سنة ١٨٨٣ ان هذه المظاهر لا تفسّر بأحد التفسيرين المتقدمين . بل يمكن تفسيرها بفعل كهربي . ولاقامة الدليل العملي على صدق نظره قام بالتجربة التي تقدم وصفها فاثبت انك اذا كهربت ضباباً رسبت الدقائق التي تكوّنت عليها قطيرات الماء الى الأرض وتبدّد الضباب

كان لودج من أيام الدراسة قد وجّه عناية خاصة الى الظواهر الجوية ، وبوجه خاص الى ما كان متصلاً منها بالكهربية . وكتب سنة ١٨٩٢ كتاباً في الموضوع جعل عنوانه « موصلات البرق وواقياته » . كان القضيب الواقي من الصواعق ، المعروف بقضيب الصاعقة قد أتمّ ولا في اميركا . استنبطهُ بنيامين فرنكلن العالم والسياسي الاميركي ، سنة ١٧٥٢ . وقضيب الصاعقة يصنع عادةً من حديد أو نحاس ، محدّد الرأس ، ويتصل بلوح معدني بالأرض الرطبة . فاذا اقتربت من البناء الذي اقيم عليه القضيب ، غيمة مشحونة كهربية استنفد القضيب الحدد كهربيتها رويداً رويداً . فاذا تعذّر ذلك وانطلق الشرر الكهربي بين غيمة مشحونة كهربية موجبة وغيمة مشحونة كهربية سالبة ، تلقى القضيب الشرر دون البناء وأوصله الى الارض فيوقى البناء كذلك ضرر الصاعقة . وذاع استعمال قضيب الصاعقة على أبراج الكنائس ومداخن المعامل وغيرها من المباني العالية ، ظناً أنهُ يقي هذه المباني وقاية تامة من الصواعق . ولكن الوقاية لم تكن تامة . لأن الصواعق انقضّت على بعض المباني رغم قضبان الصواعق التي أقيمت عليها . فانقلب رأي الناس في فائدة قضيب الصاعقة ، وعندئذٍ بدأ السر أوليفر لودج يعالج الموضوع ، ولما كان الموضوع لا يهمنا كثيراً في هذه البلاد ، فحسبنا الاشارة اليه

وقد كان من أثر مباحث لودج ان حُسّن قضيب الصاعقة حتى بني يفرض منهُ وقاه تامًّا ، وجنت إدارة البريد البريطاني من مباحثه هذه وتجاربه ، فائدة كبيرة في وقاية أعمدة التلغراف والتلفون وأسلاكهما

كانت مباحثهُ في البرق والصواعق والوقاية منها مما استرعى نظره ووجّههُ الى البحث في الأمواج اللاسلكية . ولعلّ الفضل في أن السر أوليفر لودج من الأركان الذين قامت على مباحثهم المخترعات اللاسلكية الحديثة ، يثير دهشة بعض القراء . ولكن هرتز شهد لهُ بذلك قال : —

بحث الاستاذ أوليفر لودج في نشر بعض نظرية موصلات البرق . فقام في هذا الصدد بتجارب في تفريغ مكثفات كهربية قادتهُ الى مشاهدة اهتزازات وأمواج مترددة . وكان لودج يسلم

بآراء مكسول ويسمي لاثباتها او نفيها ، فليس ثمة ريب في أني لو لم أسبقهُ لكان في امكاني الحصول على أمواج في الهواء وفي إقامة الدليل على انتقال القوة الكهربائية .

وقد قال السر اوليفر نفسهُ في هذا الصدد ما يلي ، بعدما أشار الى نظرية مكسول الرياضية الخاصة بطبيعة الضوء الكهربية المغناطيسية وبأن أمواج الكهربية تسير بسرعة الضوء : —

هذا الاكتشاف العظيم حرّك فينا نحن ، الفتيان كنا في مستقبل العمر شوقاً شديداً الى البحث والتحري . وأتذكر أني تباحثت فيهِ مع من تحزمهُ كلنا الآن جيمس فانج وذلك سنة ١٨٧١و١٨٧٢ وكنا نتلقى العلم معاً . وبعد سنة او سنتين درست كتاب مكسول في هيدلبرج وعزمت من ذلك الوقت على توليد الأمواج الكهربية التي قال عنها مكسول وعلى ابتكار طريقة لتصويرها (وهذا في منزلة الارسال والالتقاط في اللاسلكي الحديث) .... وتكلمت أنا في هذا الموضوع في المجمع البريطاني سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ وفي جمعية دبلن الملكية سنة ١٨٨٢ ... وكان رأي فتزجرالد (وهو من أعلم أهل زمانه حينئذٍ) « إن توليد الأضطرابات الموجية في الأثير بواسطة القوى الكهربية غير ممكن » . ثم أصلح فتزجرالد خطأه وحذف كلمة « غير » من عبارته المتقدمة . وبيّن سنة ١٨٨٣ كيف يمكن ان تولد هذه الأمواج . . . ولو استطعنا حينئذٍ ان نصنع آلة تلتقط الأمواج الكهربائية لوصلنا الى التلغراف اللاسلكي »

وتفصيل مباحثه في هذه الناحية والرسائل التي ألقاها ونشرها في الموضوع يحتاج الى اسهاب لا يتسع له هذا الفصل . وانما لا بدَّ من الاشارة الى ان لدج هو الذي اكتشف الرابط Coherer وهو جزء كان لا بدَّ منهُ في آلة الالتقاط اللاسلكية . فقد لاحظ لدج سنة ١٨٨٩ التصاق النقائق او تجمعها بفعل الكهربية . وانهُ اذا انقطع التيار تفرقت النقائق . وكان برانلي الفرنسي قد لاحظ هذه الظاهرة وصنع آلة دعيت « رابطاً » او « تجماً » Coherer ولكنهُ لم يفطن الى فائدتها ، فاستعملها لدج سنة ١٨٩٤ في تبين الأمواج اللاسلكية المنطلقة في الفضاء من أثر هذه الأمواج في برادة الرابط ، بعدما جسّهُ حتى يصير أدق احساساً مما كان . وبعد ذلك بسنة نجح ماركوني في تجاربه اللاسلكية الأولى . وتعاون بيّدها مع لدج في تحسين بعض الأجهزة اللاسلكية . ولما خطب لدج مبيناً طرفاً من نصيبه في المباحث اللاسلكية الأولى قال : — ودفعاً لكل مظنة أصرح أنهُ لولا همة السنيور ماركوني ومقدرتهُ واجتهادهُ ما صار التلغراف اللاسلكي وسيلة من الوسائل التجارية ولا كانت محطاتهُ قد انتشرت في كل الكرة الأرضية ولا كان له الشأن الذي له الآن . وقال في الخطبة نفسها : — لما تمكن السنيور ماركوني من نقل حرف S اللاسلكيًّا من أرنبدا الى أميركا ، نصب علماً في تاريخ البشر . مع ان يجمل مبدأ تاريخيًّا لما فيهِ من الغرابة والابداع »

— ٢ —

ولد لدج في ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ فكان عند وفاته في التاسعة والثمانين من عمره حافل مآثر. وقد كتب أكثر من عشرة كتب عندما بلغ الستين من عمره

كان أبوه خزافاً فبعث به الى مدرسة نيوبورت يظل فيها حتى الرابعة عشرة من العمر ثم صفه اليه في عمل الخزف وكان على وشك ان يصبح خزافاً لما وقع في يديه اتفاقاً ، نسخ من مجلة انكليزية تدعى « الميكانيكي القديم » ، ففتحت له باب عالم جديد . فسار في الطريق غير هياب . وظل مع أبيه سبع سنوات فلما أدرك هذا ان ابنه نابغة عمد . بعث به الى لندن ليصغي الى محاضرة الاستاذ تندل في كلية لندن الجامعة ويتلقى أصول العلم فيها على أساطينه . وكان الشاب لا يملك نفقاته فاضطر ان يعطي دروساً خاصة ليتمكن من مواصلة الدراسة . وأنت تستطيع ان تدرك مبلغ نجاحه اذا عرفت انهُ نال لقب دكتور في العلوم وتزوج بعد انقضاء خمس سنوات على انتظامه في المعهد . ولما كان في الثلاثين . أي تسع سنوات بعد تخرجه لصناعة الخزف ، عين أستاذاً للطبيعة في جامعة ليفربول . ومنح مدالية رمفرد ، مباحثه في الكهربية ، فلما عين مستشاراً لاحدى الشركات الكهربائية ، طبق مباحثهُ النظرية تطبيقاً جنت منهُ الشركة فائدة كبيرة . ثم عين مديراً لجامعة برمنغهام الجديدة سنة ١٩٠٠ وظل في منصبه حتى سنة ١٩٢٦ وهناك قام بالتجربة التي وصفناها في مطلع هذا الفصل ، ومن منبرها اعلن صيت لدج ، قوة وعالة في نشر العلوم الحديثة ، بالدروس التي كان يلقيها والمقالات والكتب التي كان يؤلفها . وفي سنة ١٩٠٢ منحه الملك ادورد السابع رتبة فارس ولقب سر . وانتخب عضواً في الجمعية الملكية واختير بعد ذلك رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني (١٩١٣) ورئيساً للجمعية السحرية ورئيساً لجمعية المباحث النفسية ، ورئيساً لجمعية رتجس

— ٣ —

من المعروف أن لدج مفكر يجمع بين العلم والفلسفة . وقد كان الأثير الحسر الذي عبر عليه من العلم الى الفلسفة ثم حلق به في عالم الأرواح

ماذا تعلم الفضاء ؟ وماذا يوجد بين الشمس في وسط السكون . وبين الذرات وأجزاء الذرات ؟ العلم يجيبك الآن الى أن أكثر شيء تؤلف من جزاء منفصلة تعوم على بعض أبعاد هائلة بالنسبة لأحجامها تزاً النجوم منثورة في نواحيها . تفصل عالم وحالب شاسعة . فاذا كنت مسافراً في الفضاء كان جهان اصطدامك أحد الكواكب ، بعيداً جداً . وهو ان احتمال اصطدامك طائرة اذا طفقت تسوقها سوقاً اعتباطياً في الجو . فالوحدات التي منها تؤلف النجوم وأجسام سابحة جداً

ولكن ما قولك في خشب هذه المائدة . وزجاج هذا المصباح . وقماش هذا الطربوش . أليس الخشب والزجاج والقماش مواد متصلة الأجزاء ؟ كلا انها ليست متصلة الأجزاء . فهي في تركيبها الأساسي مؤلفة من ذرات العناصر . وذرات العناصر مركبة من كهربات وبروتونات . والكهربات شحنات كهربية دقيقة كل الدقة والبروتونات متصلة بشحنات كهربية موجبة على ما يظن . ونسبة بُعد الكهرب عن نواته قد يقابل بنسبة بعد أحد السيارات عن الشمس . فالذرة معظمها فراغ . وفي هذا الفراغ الفسيح نثرة من الكهربائية هنا ونثرة هناك . فالانفصال آية الطبيعة في الأجسام المادية كبيرها وصغيرها على السواء

فلو لم يكن في الكون الا المادة ، لما وجد رابط يربط بين هذه الأجزاء المنتشرة . واذاً لكان الكون خواء Chaos تاماً

ولكننا نعلم أن النجوم ليست مستقلة احداها عن الأخرى . فهي تنتظم مجموعات شمسية هنا . ومجموعات ثانية هناك . وشاقد مجرة هنالك . ثمة رابط يربط بينها يدعى الجاذبية ولو لم نعلم ما هو هذا الرابط على حقيقته . واذاً فالفضاء بينها لا يمكن أن يكون فراغاً . وما يصح على النجوم ورحاب الفضاء يصح على الأجسام المادية . فالجزيئات والذرات . والكهربات والبروتونات تتجمع وتتلاصق . للجسم الجامد حجم معين وشكل معين . فاذا كان بلورة رأيتها في تنسيق مطرد جالاً ونظاماً . ومهما تبلغ المسحات بين الجزيئات والذرات فلا بدَّ أن تكون مملوءة بشيء يربط بين دقائقها . ويجب أن يكون هذا الشيء متصلاً

قد نختلف في الاسم الذي نطلقه عليه . فندعوه آثاً بالأثير . وآثاً بالفضاء المطلق . وآثاً بالحيز الكوني الزمني المستمر Space-time Continuum كما يدعى في مذهب أصحاب النسبية ولكن لا ريب في أننا نحتاج الى شيء يتصف بهذه الصفة الأساسية التي لا نعرف من دونها سبيلاً الى فهم الكون الطبيعي فهماً متسقاً

كذلك يقول لدج

والاثير صفات أخرى أهمها انه لا يُرى ولا يُشم ولا يُلمس . وانما يستطاع تعريفه ، والانسان يستطيع أن يحس بعض تموجاته ، فهو ناقل للضوء ، لا يبقيه عن الفرور أن نصفه المادة لوظيفته الأولى اذاً أن يكون وسطاً بين دقائق المادة . ووظيفته الثانية أن يكون وسطاً لنقل موجات الطاقة على اختلافها من الأشعة الكونية الناعمة جداً متناهية من القصر ، الى الأشعة اللاسلكية التي تبلغ موجتها أحياناً عشرين كيلو متراً او تزيد

ثم ان الأثير لا يتحوَّل ، ولا يتحلَّل ، شديد الصلابة ولكن المادة تتحرك به ولا تجد أقل مقاومة من فرك أو لزوجة

فالأثير ليس مادة بالذات لكنه مادي

وهو أداة الاتصال الكبرى . وقد يكون أكثر من ذلك . لأن بدونه لا يكون للعالم المادي وجود . ومهما تكن الحال فلا شبهة في لزومه للاتصال لأنه يشغل جميع المسافات التي بين دقائق المادة ويوصل بينها . ولما كان في الامكان وجود المادة من دونه فتكون أجزاء متفرقة . هو الصلة بين العوالم والدقائق . ومع ذلك فقد ينكر الناس وجوده لأنهم لا يشعرون به بحاسة من حواسهم ، الا بالبصر اذ يتموج

اذا خرجنا من ميدان البحث العلمي البحت ، جابهنا السؤال الآتي : هل للاثير صلة بالحياة

نحن نعلم أن المادة لها شكلان شكل جامد خامل من الحياة . كالجوامد والسوائل والغازات والكهربات والبروتونات . وشكل آخر يعرف بالشكل العضوي وهي فيه جزيئات كبيرة معقدة التركيب تعرف بالبروتوبلاسمة وما يبنى منها . والبروتوبلاسمة آلة الحياة . فبعض أشكال المادة حي والحياة لغز لم ينفذ الى سره بعد . فنحن لا نعلم ما الحياة . وانما نشاهد ما تعمله الحياة . انها تؤثر في المادة ، وتتخذ أشكالاً مختلفة من المادة وتتنقل من السلف الى الخلف . فالحياة قد تتخذ شجرة البلوط شكلاً تظهر فيه . وحياة شجرة البلوط تنتقل الى شجرة أخرى من البلوط . أو قد تتخذ الحياة العصفور شكلاً تظهر فيه ، أو سمكة أو دودة . وأشكال الأحياء كثيرة لا تحصى

فلي مرحلة معينة من مراحل الحياة يبتدئ العقل في هذه المادة الحية التي تدعوها البروتوبلاسمة . واذن فالعقل والحياة قد أثرا في المادة . ان لا نعرف ما هي وانما ندرس مظاهرها . انهما يستعملان المادة مدة ثم يختفيان . ويقول لنا حي يختفيان لا يتلاشيان قصداً . انهما يزولان من حيز مدركاتنا نحن . ولكن من يستطيع أن يقول انهما يزولان من الوجود حتماً . وكل ما نستطيع أن نقوله انهما يؤثران في المادة تأثيراً وقتياً

ولكن هل تؤثر الحياة والعقل ، في المادة فقط . دون الأثير الذي يربط بين دقائقها ؟ هل تؤثر الحياة في الأثير كما تؤثر في المادة ؟ انا لا ندري كيف تؤثر الحياة في المادة . وانما نعلم انها تؤثر . ولكننا لا نستطيع أن نثبت انها تؤثر في الأثير . وانا نحن بوجه هذا السؤال الى الباحثين . ثم هناك ناحية أخرى هي . وأكثر غموضاً في الانسان صفات العقل والشعور والذاكرة واللغة . وهي صفات لا نستطيع أن نشهد وجودها في الحيوانات العليا . ولكن هل يمكن أنها تتجلى في الانسان ؟ فهل تتجلى صفات العقل ان هذه تتجلى فيه في العالم المادي ؟ انا نتبين هذه الصفات اذا نظرنا في المادة . فنجد المادة تتغير وتغير أشكالها وتبدل من أوصافها وتتخذ فيها أحياناً معقداً من بعد آخر . فهي تتخذ من دقائق مادة مخيخ هذا . فهل لا نتبين الا اذا ظهرت بهذا المظهر المادي ، فان حواسنا عادية

ولكن لا بدَّ من سؤال آخر. هل هذه الصفات النفسية، تفعل بالمادة فعلاً مباشراً أو غير مباشر. هذه مسألة يجب ان تخضع للامتحان والتجربة. لا بدَّ في هذا الفصل من الاتصال. انا أمسك الحجر وأقذفه من مكان الى آخر. ولكن الذرات لا تتصل قط. بل بينها فراغ. فاذا اقتربت ذرتان ماديتان، احداهما من الاخرى. تولَّت قوى الدفع الفصلَ بينهما. فالكهيرب لا يستطيع ان يلمس الكهيرب. لانهما متدافعان. فهل يستطيع الكهيرب ان يلمس البروتون؟ لا نعلم. ولكن اذا لمسه، انطلقت شرارة تدل على فناء احدهما في الآخر

والواقع اننا اذ نلمس جسماً من الاجسام انما نلمس الأثير فهو الشيء الذي يملأ جميع المسافات بين الأجسام. ولكن اذا كان نفسنا لا يتعدى الأثير أفلا نستطيع أن نحدث أثراً يحسُّ به صاحبنا أو جارنا أو محدِّثنا، لأن حواس الناس لا تستطيع ان تدرك الاثير الا اذا تموَّج. وإذاً فالحياة إذ تفعل بالمادة تفعل بالأثير أولاً فعلاً مباشراً، وبالمادة ثانياً فعلاً غير مباشر

ولذلك يذهب السر أوليفر لدج، الى أن أداة الحياة والعقل ليست المادة، بل الأثير

يقول علماء الحياة أنهُ لا بدَّ للحياة والعقل من جسم مادي يحملها، وهذا مسلَّم به. ولكن هذا الحامل قد لا يلزم ان يكون مادة في شكل من أشكالها المعروفة. بل قد يكون أبسط من المواد المعروفة. فقد يكون شيئاً، وتكون المادة صورة محسوسة من صوره. والاثير عند السر أوليفر لدج جسم متجانس فاذا تنوَّع كانت المادة

فالحياة والعقل قد يكونان متصلين بالأثير اتصالاً لا ندركه بحواسنا، وإذاً فلا يحق للعلم ان ينفيه نفياً مطلقاً. فالنفي ليس من شؤون العلم. وإنما شأنهُ الاثبات. والنفي القاطع أصعب من الاثبات، لأنهُ يقتضي علماً وسعاً محيطاً بكل شيء شاملاً لكل شيء. ونحن نعلم أن فرعاً من العلم قد ينفي شيئاً ويثبتهُ بفرع آخر. فالفرع الأول لا يستطيع أن ينفي وجود هذا الشيء نفياً قاطعاً. والكيميائيون ينفون الأثير، وعلماء الطبيعة يقولون الأحياء، وعلماء الحياة ينفونهُ في تعليم العقل والقصد، وعلماء الجهر لا يلتفتون الى الكواكب، فهل يصح ان نفكر هذه الاشياء لأن علماً من العلوم لا يلتفت اليها؟ وما أحسن ما قيل من أن الشك في كل شيء، تصديق كل شيء حتى يلجأ اليه الذين لا يريدون أن يشعروا عقولهم

فاذا قام العلماء بدراسة وجود ما يخرجونهُ من نطاق بحثهم بصفة هذا البحث، وجب ان لا يقبل قولهم ان قوانا محدودة وحواسنا لم تأنف الا المادة التي نشعر بها. ولا شيء غيرها يستطيع ادراكه. ان عضلاتنا وأعصابنا صاغة لتحريك المادة في الجهة التي نختارها. هذا هو جهد الخبرة الانسانية وما تاريخ الانسان الا اخبار ما عمله بهذه القوى اليسيرة التي اعطيها

بالمادة يعرف كل منا بوجود الآخر وبما نتخاطب مع الذين افكارهم تشبه افكارنا ، إما بحركات توجية كما بالكلام والغناء او بتوزيع دقائق المادة كما في الكتابة والتصوير . فتتخاطب كذلك وتتفاهم . وقد ألفنا هذه الوسائل حتى صرنا نحسبها هي وأمثالها الوسائل الطبيعية الوحيدة للتخاطب والتفاهم وأن كل وسيلة غيرها يصل بها المراد من عقل الى عقل مباشرة تنتهك حرمة العلم

من هنا نرى الأساس الذي يقوم عليه اعتقاد كثيرين في بقاء الشخصية ومخاطبة الأرواح فهو يقول ان الحياة والعقل يحتاجان الى أداة . يظهران بها ، او يتجليان فيها ، ولكن هذه الأداة لا يجب ان تكون مادة ، بل قد تكون الأثير نفسه ، وإذاً فبقاؤها بعد انحلال الجسم المادي محتمل ، وإن كنا لا نستطيع إدراكه بحواسنا ، ولكن بعضاً منا ممن أرهفت حواسهم يستطيعون ان يتبينوا أثر الشخصية في الأثير . فينتقلون من الأشخاص الذاهبين الذين خرجوا من دائرة الوجود المادي الرسائل والانباء

كل هذا فرض جميل . وكل انسان اذا تخطى عهد الشباب والفتوة يتوق اذا كان ممن يفكر في خفايا الحياة والكون الى أن يعرف ما وراء الموت . ويتوق كذلك الى الايمان ببقاء الشخصية وفي هذا الفرض من الناحية الفلسفية ما يكفي

ولكن موضوع مخاطبة الأرواح الذي عالجه السر اوليفر ليج معالجة عملية ليس له بالفرض الفلسفي الا صلة ضعيفة وهو مثار لاختلاف الرأي بين أهل الرأي

والموقف المعقول يقضي علينا بالتزام الحذر في الحكم . فكثير من الحقائق العلمية أنكرت في أول عهدها ثم ثبتت صحتها . وثمة طائفة أخرى من الحقائق العلمية ، لم نستطع كشفها الا بعد كشف وسيلة علمية جديدة كالمجهر أو المرقب أو المطياف أو الأشعة السينية . ومن يدري ما يأتي به العلم في غير من الوسائل الجديدة . فالأشعة الكونية مثلاً أقوى نفوذاً من أشعة اكس وأشد فعلاً وقد نسخر غداً أو بعد غد فنكشف لنا عن عوالم كانت خافية علينا لانا لم نملك الوسائل اللازمة لتبينها ثم إن أساليب البحث العلمي ليست كل الأساليب التي يمكن الوصول بها الى الحقائق . فاذا شئت أن تكتفي بما تتيحه الوسائل العلمية المعروفة ، والامتحانات والتجارب التي قام بها رجال مشهود عن لهوى استطعت أن تقول ان مخاطبة الأرواح لم تثبت بعد . ولكن ليس في العلم ما ينفيها . لأن العلم لا يستطيع ان ينفي اذا لم يحط بكل شيء واستقرأه استقراء شاملاً

واذا شئت ان تنظر نظراً فلسفياً فلك أن تتفق مع السر اوليفر ليج وغيره وغم الخداع والانخداع الذي يحيط بالوسطاء يقتضي اتساق النظرة العلمية الفلسفية التي بسطناها ، بقاء الشخصية بعد انحلال الجسم المادي ودوام تأثيرها في الأثير الذي يملأ رحاب الكون